

روح المعاني

الآخرة قال تحسرا على ما فرط في جنب الله تعالى رب أرجعون .

. 99

- أي ردني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وهو الله تعالى كما في قوله : ألا فاحموني يا إله محمد فإن لم أكن أهلا فأنت له أهل وقول الآخر : وإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم خاولا بردا والحق أن التعظيم يكون في ضمير المتكلم والمخاطب بل والغائب والاسم الظاهر وإنكار ذلك غير رضي والإيهام الذي يدعيه ابن مالك هنا لا يلتفت إليه وقيل : الواو لكون الخطاب للملائكة عليهم السلام والكلام على تقدير مضاف أي يا ملائكة ربي أرجعوني وجوز أن يكون رب استغاثة به تعالى و أرجعوني خطاب للملائكة عليهم السلام وربما يستأنس لذلك بما أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن ابن جرير قال : زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله تعالى عنها إن المؤمن إذا عاين الملائكة قالوا : نرجعك إلى دار الدنيا قال : إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله تعالى وأما الكافر فيقولون له نرجعك فيقول : رب أرجعوني وقال المازني : جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال : رب أرجعني أرجعني أرجعني ومثل ذلك تثنية الضمير في قفا نبك ونحوه .

واستشكل ذلك الخفاجي بأنه كان أصل أرجعوا مثلا أرجع أرجع لم يكن ضمير الجمع بل تركيبه الذي فيه حقيقة فإذا كان مجازا فمن أي أنواعه وكيف دلالتة على المراد وما علاقته وإلا فهو مما لا وجه له ومن غريبه أن ضميره كان مفردا واجب الإستتار فصار غير مفرد واجب الإظهار ثم قال : لم تزل هذه الشبهة قديما في خاطري والذي خطر لي أن لنا استعارة أخرى غير ما ذكر في المعاني ولكونها لا علاقة لها بالمعنى لم تذكر وهي استعارة لفظ مكان لفظ آخر لنكتة بقطع النظر عن معناه وهو كثير في الضمائر كاستعمال الضمير المجزور والظاهر مكان المرفوع المستتر في كفى به حتى لزم انتقاله عن صفة إلى صفة أخرى ومن لفظ إلى آخر وما نحن فيه من هذا القبيل فإنه غير الضمائر المستترة إلى ضمير جمع ظاهر فلزم الإكتفاء بأحد ألفاظ الفعل وجعل دلالة ضمير الجمع تكرر الفعل قائما مقامه في التأكيد من غير تجوز فيه ولا بن جنبي في الخصائص كلام يدل على ما ذكرناه فتأمل انتهى كلامه .

ولعمري لقد أبعد جدا ولعل الأقرب أن يقال : أراد المازني أنه جمع الضمير للتعظيم بتنزيل المخاطب الواحد منزلة الجماعة المخاطبين ويتبع ذلك كون الفعل الصادر منه بمنزلة الفعل الصادر من الجماعة ويتبعهما كون أرجعوني مثلا بمنزلة أرجعني أرجعني لكن إجراء نحو هذا في نحو قفا نبك لا يتسنى إلا إذا قيل بأنه قد يقصد بضمير التثنية التعظيم

كما قد يقصد ذلك بضمير الجمع ولم يخطر لي أنني رأيتَه فليتبع وليتدبر لعلي أعمل صالحا
فما تركت أي في الإيمان الذي تركته ولعل للترجي وهو إما راجع للعمل والإيمان لعلمه لعدم
الرجوع أو للعمل فقط لتحقيق إيمانه إن رجع فهو كما في قولك : لعلي أربح في هذا المال
أو كقولك : لعلي أبني على أس أي أسس ثم أبني وقيل : فيما تركت من المال أو من الدنيا
جعل مفارقة ذلك تركا له ويجوز أن تكون لعل للتعليل